(مفهوم التدخل الدولي الانساني من خلال الممارسات الحديثة الدولية قطاع غزة نموذجاً)

أما بعد:

يطيب لي في بداية مداخلتي هذه ان اتقدم بجزيل الشكر والعرفان الى الدكتورة نايلة شعبان عميدة كلية العلوم القانونية والسياسية والاجتماعية بجامعة قرطاج .. والى الدكتورة هاجر قلديش استاذة القانون الدولي والمحاكم الدولية على توجيه الدعوة الى المشاركة في الندوة التضامنية مع اهلنا بغزة العزة والكرامة. نسأل الله لهم النصر ويرفع عنهم هذه المحنة والمعاناة ... فلكم مني جميعاً كل الشكر والتقدير لجهودكم المبذولة، وجعلها الله في ميزان حسناتكم على هذه الوقفة العروبية التضامنية مع الشعب الفلسطيني، وهذا ليس بغريب على ابناء تونس الخضراء.

كما يطيب لي أن أرحب بكل الحاضرين بالقاعة في هذه الندوة، وكذلك السادة المتداخلين من بعض الدول العربية عبر (الزوم) أو (الدائرة المغلقة) فمرحباً بكم جميعاً.

ايها السادة، الحضور الكرام.

أننا نقف اليوم أمام هذه الاحداث الاليمة التي يعانيها اليوم أخوتنا في غزة المجاهدة، وما كان هذا ليحدث لولا الضعف والهوان والتشرذم الذي تعيشه أمتنا العربية من المحيط الى الخليج، وما تواجهه من هجمة شرسة من أعدائها الذين يتكالبون عليها لاحتلالها والسيطرة عليها ونهب خيرتها.. فهم كل يوم ينجحون في تمزيق وتفتيت أوصال وأطرافها هذه الامة العربية الاسلامية المجيدة.

ان ما حدث في فجر السابع من اكتوبر الماضي سوف يسطر بأحرف من نور لأبطال المقاومة الفلسطينية الباسلة التي دمرت اسطورة الجيش الذي لا يقهر، فقهرهم ابناء غزة الابطال .. فلقد أرجعوا الحياة وبثوا فيها القوة والشجاعة والحماس والمقاومة. فلقنوا العدو الاسرائيلي دروساً في الفداء والذود عن الارض والعرض.. فرغم الفارق الكبير في ميزان القوة والامكانيات للكيان الصهيوني، مقابل بساطة الاسلحة التقليدية لأبطال غزة العزة والكبرياء، الا انهم وقفوا نداً قوياً

لترسانة العدو الصهيوني المتطورة والفتاكة، وحطموا مقولة الجيش الذي لا يقهر. فكل التحية والاكبار والاجلال لأبطال المقاومة الفلسطينية. يا احفاد الشهيد الشيخ عزالدين القسام، يا احفاد الشهيد ابو عمار.. يا احفاد الشهيد احمد ياسين، يا ابناء الشهيد يحي عياش، ورفاق الشهيد د. عبدالعزيز الرنتيسي.

في البداية نعرج قليلاً على عنوان مداخلتي فهي بعنوان: **مفهوم التدخل الدولي الانساني من خلال الممارسات الحديثة الدولية "قطاع غزة نموذجاً"**

يحتل موضوع التدخل الإنساني مكانة كبيرة بين المهتمين بالشؤون الدولية بسبب أهميته كموضوع حقوق الإنسان والحريات وموضوع التدخل لحماية المجتمع الإنساني. وهو ما تعزز ابتداءً من العقد الاول من القرن ال20 والسنوات العشر الأولى من القرن ال21 خاصة لدى الدول الاوروبية، تلك الدول التي كان لها دور واسع في بلورة افكار التدخل الانساني، باعتبار ان الدولة التي تسئ الى مكوناتها

(الشعب)، انما توفر المسوغ القانوني للتدخل ضدها من جانب أي دولة او مجموعة دولية اخرى.

ويشير هذا التعريف إلى أن مثل هذه التدخلات تؤدي إلى حماية حقوق الإنسان وعدم انتهاكها. اذ اعتمدت دول العالم مجتمعة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وبالتالي أصبح ضمناً أن تعزيز حقوق الإنسان وحمايتها صارت شأناً عالمياً، ومسؤولية دولية، ولم تعد تلك مهمة منوطة بكل دولة على انفراد.

لذلك، من الضروري الانتباه إلى الأهداف والغايات السياسية في العملية، أي إذا كان التدخل ينطوي على تحقيق غايات واهداف معينة، لا تحقق ما نص عليه القانون الدولي الانساني كتحقيق فوائد اقتصادية استراتيجية، فإن التدخل هنا أصبح تدخل ليس إنسانياً مما ساعد في خلق معاناة كبيرة تحت مسمى المستفيدين، والحماية، والسلام.

والأصل في التدخل أنه عمل غير مشروع لان فيه اعتداء على ما للدولة المتدخل في شؤونها من المساس بحق الاستقلال والسيادة، ان التزام الدول باحترام حقوق بعضها البعض يفرض عليها واجب عدم التدخل، فالتدخل يعبر

جانب منه عن مدى الارتباط بين الدول، ولكنه ينطوي من جانب آخر على احتكاك بينهما قد تتولد عنه شرارة تكون نواة حرب وقتال.

- والتدخل كفكرة يعد استثناء على الاصل، لان الاصل عدم جواز التدخل في الشؤون الداخلية للدول المستقلة ذات السيادة(مادة 7 من الميثاق).
- وكذلك بمقتضى ضرورات حماية حقوق الانسان (المادة 3 المشتركة بين اتفاقيات جنيف الاربع، والمواد 64 وما بعد من البرتوكول الاول شُرع هذا الاستثناء).
- ان مفهوم التدخل لحماية المدنيين هو:" التهديد باستعمال القوة أو استعمالها فعلا لمنع دولة ما من انتهاك قواعد القانون الدولي الانساني ضد دولة اخرى، او اقلية ما ".
- منذ انتهاء الحرب الباردة تزايد عدد استعمالات للاعبين الكبار في السياسة الدولية للتدخل الدولي الانساني.
- تُثار مسألة فقهية هل هو حق أم واجب؟.

- انطلاقاً من حكم محكمة العدل الدولية في قضية تدخل أمريكا في نيكارغوا عام 1986، الذي كُيّف بأنه تدخل تعسفي فإن: التدخل الدولي الانساني المشروع واجبٌ على الاسرة الدولية ممثلة في مجلس الامن الدولي "مهمة التدابير الفصل السابع".
- ان النصوص القانونية التي تنظم "التدخل الدولي الانساني" آنفة الذكر البرتوكول الاول تقرر شروطاً وآليات يجب اتباعها ليكون التدخل بمقاييسه القانونية المطلوبة.
- وفي العقود الثلاثة الاخيرة شهدت تطبيقات التدخل الدولي الانساني اضطرباً في المعيار والغاية بحيث هناك تدخلات ناجحة، وتدخلات فاشلة.

ومن امثلة التدخلات التي قد نعتبرها من ضمن التدخلات التي حققت اهدافها بنجاح سواء بالإيجاب او السلب، كالحرب التي شنتها الدول الاعضاء بحلف الناتو ضد جمهورية يوغسلافيا الاتحادية السابقة في 24 مارس 1999، والتي

كانت نتيجتها تدمير يوغسلافيا السابقة وتفتيتها إلى دويلات صغيرة، وكذلك التدخل الذي نفذته الدول الغربية على الجمهورية العراقية عام 2003، والذي كانت نتيجته قتل مليون و200 الف مواطن عراقي، وتشريد الملايين من العراقيين، وتدمير دولة العراق التي كانت تؤدّي أدواراً محورية ومؤثرة في محيطها الاقليمي والدولي. كل ذلك كان سببه دولة الارهاب العالمي الاول الولايات المتحدة الامريكية، وحليفاتها من دول اوروبا الغربية. ومن امثلة التدخلات الفاشلة هناك عشرات الوقائع ابرزها التدخل الدولي الانساني بين التوتسي والهوتو في رواندا وبوروندي، الذي تطلب انشاء محكمة جنائية دولية لرواندا، والتدخل الدولي الانساني في الصراع ما بين الصرب الارثوذكس ضد مسلمين البوسنة والهرسك في الاتحاد اليوغسلافي السابق.

- ومن امثلة وقائع التدخل المفترضة، والتي لم يحرك لها مجلس الامن الدولي ساكناً ما تقوم الحكومة البورمية ضد مسلمي الروهينقا.

وحيث ان ما يهمنا في هذه الندوة التدخل الانساني واسقاطه على ما يجري اليوم في فلسطين المحتلة، وبالتحديد ما يتعرض له قطاع غزة. فدعونا نرجع بكم الى بداية الاحتلال والاجتياح الاسرائيلي لفلسطين المحتلة عام 1948م، وما تعرض له الشعب الفلسطيني من اعتداء وظلم صارخ من قبل العصابات الصهيونية المتطرفة، وما صاحبه من تدمير وقتل وتهجير للفلسطينيين اصحاب الارض.

- ومن امثلة الاعمال الارهابية للكيان الصهيوني بفلسطين:

_ مذبحة دير ياسين وهي عملية إبادة وطرد جماعي نفذتها مجموعات صهيونية ضد الفلسطينيين عام 1948، وكان معظم ضحايا المجزرة من المدنيين ومنهم أطفال ونساء وعجزة، ويتراوح تقدير عدد الضحايا بين 250 _300 قتيل فلسطيني.

_مذبحة قانا التي تقع في جنوب لبنان في 18 أبريل 1996 في مركز تابع للأمم المتحدة بقرية قانا والذي كان يأوي

نازحين احتموا به هرباً من القصف الإسرائيلي. وقد استهدفتهم المدفعية الإسرائيلية وقتلت 106 لبنانيا وأصيب 150 آخرون بجروح وإصابات مختلفة.

_ مجزرة مخيم صبرا وشاتيلا عام 1982تعتبر مجزرة صبرا وشاتيلا إحدى أبشع المجازر التي ارتكبت في العصر الحديث. استمرت المذبحة 3 أيام إذ بدأت في 16 سبتمبر وانتهت في 19 من نفس الشهر. قامت مليشيات لبنانية عميلة برفقة الجيش الإسرائيلي بعمليات قتل جماعية في مخيم صبرا وشاتيلا الواقع في لبنان راح ضحيتها حوالى 1300 فلسطينيا ولبنانيا.

واخرها الاعتداء الوحشي البربري اللاإنساني الذي قام به جيش الكيان الصهيوني الغاصب منذ اسبوعين والذي تمثل في الهجوم على مستشفى المعمداني بقطاع غزة التي راح ضحيتها اكثر من 500 شهيد. فهذه وعشرات من المذابح الاخرى تستوفي المعيار والوصف والشرط والتكييف. فهي

ترتقي لجرائم ضد الانسانية التي تستوجب المحاسبة عليها وفق المادة (3).

الحضور الكريم..

يمكن التطرق في هذه المساحة الزمنية القصيرة الى جوهر حماية المدنيين الفلسطينيين في الحرب العدوانية غير المتكافئة القائمة اليوم على ثلاثة محاور وهي:

1. **حماية الاهداف واجبة التحييد:** ان ما تقوم به دولة الاحتلال الاسرائيلي اليوم، لم يحدث عبر التاريخ الانساني، من قتل وتدمير وتشريد للمدنيين بقطاع غزة الذين يزيدون عن مليوني إنسان، ومنهم من لجأوا لأماكن اعتقد انها محرمة دوليا الاعتداء عليها كالمستشفيات والمدارس والمساجد والكنائس، كان من أفظعها مجزرة المستشفى الأهلي العربي (المعمداني) التي راح ضحيتها ما يزيد عن 500 شهيد، غالبيتهم من النساء والأطفال، يوم 17 أكتوبر المجيد. وعلى المجتمع الدولي تفعيل معاهدة جنيف الرابعة لحماية المستشفيات وتحييدها من أي عدوان عسكري.

2. **انقاذ المدنيين ضحايا "العمل العسكري"**: تشكل حماية المدنيين خلال الاعمال العسكرية حجر الأساس في القانون الدولي الإنساني. ويتسع نطاق هذه الحماية ليشمل الممتلكات المدنية العامة والخاصة. ويعرّف القانون الدولي الإنساني أيضاً فئات المدنيين الأكثر ضعفا مثل النساء والأطفال والشيوخ والنازحين ويمنحها الحماية من أي اعتداء عسكري. وقد استُهدف المدنيون بوجه خاص في بعض النزاعات وتعرضوا لأعمال وحشية فظيعة لم تقم وزناً لا للأسس المطلقة لاتفاقيات جنيف ولا لاحترام الإنسان. ولهذا السبب، تواصل اللجنة الدولية للصليب الاحمر حث الدول على أن تحترم مبادئ القانون الدولي الإنساني وتكفل احترامها ولاسيما حماية المدنيين.
3. **تحييد وكالات غوث المدنيين "الاونروا"**: لم تسلم حتى هي من الاعتداءات العسكرية الاسرائيلية، رغم تبليغ دولة الكيان الصهيوني المحتل بمواقع مكاتب الأونروا، ولكن لم تهتم اسرائيل بكل تلك التبليغات لمواقعها، فقد قتل العدوان الصهيوني 30 موظفا –

على الأقل- من وكالة الأونروا في قطاع غزة منذ بداية الحرب، حسبما ما أفاد به مفوضها العام فيليب لازاريني منذ اسبوع والعدد مرشح للزيادة.

اختم معكم **اخوتي** المشاركين بالقول لعل قاسمة الظهر اليوم هي الاشكالية التي تدور في اذهاننا ألا وهي عندما نسأل انفسنا.. ونقول لصالح من هذا التدخل الدولي الانساني، الذي نتكلم عنه أو بواسطة من أو ضد من؟

اذ كان من المفروض ان يقوم مجلس الامن الدولي بأداء مهامه المنوطة به، منها المحافظة على السلم والامن الدوليين، كذلك التحقيق في أي نزاع قد ينشب بين الوحدات الدولية. ولكن أصبح وللأسف مجلس الامن الدولي رهن اشارة راعية الارهاب الدولي امريكا وحليفاتها من الدول الغربية كبريطانيا، وفرنسا، والمانيا وأغلب الدول الغربية المسيحية تنادت مع الكيان الغاصب المحتل لفلسطين، والجولان السوري.

فمنذُ الوهلة الاولى لهذه الحرب توعدت امريكا خصوم الكيان الصهيوني المحتل برد عسكري قوي ضدهم في حال

تدخلوا مع ابطال المقاومة الباسلة بغزة، فقد حشدت بوارجها وحاملات طائراتها بشرق المتوسط، والبحر الاحمر، وقامت امريكا راعية الارهاب الدولي بتزويد العصابات الصهيونية بأسلحة متطورة حديثة، كالقنابل الفسفورية المحرمة دولياً التي تدك غزة كل يوم امام اعين المجتمع الدولي ولا رد على ذلك. مقابل رد من قبل المقاومة الفلسطينية بأسلحة خفيفة وبسيطة، بالإضافة لامتلاكها قوة لا يمتلكها الكيان الصهيوني المحتل ألا وهي الشجاعة والصبر والايمان بنصرهم المؤزر.

في ضوء كل ما تقدم، يظل المرء يتسأل أين دور المجتمع الدولي مما يجري من المجازر التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني الاعزل على يد العصابات الصهيونية منذ ثمانية عقود وإلى اليوم، والتي راح ضحيتها الكثير الكثير من الضحايا، هذا الشعب الذي لا يطالب بأكثر مما نص عليه ميثاق الأمم المتحدة وقواعد القانون الدولي الإنساني أمام هذه الانتهاكات الجسيمة؟ مما يعكس حالة من ازدواجية المعايير التي يعيشها عالمنا اليوم.

إنّ الطابع الانتقائي لعمليات التدخل الإنساني أو ازدواجية المعايير المعمول به من قبل المجتمع الدولي سواء ان كان

ذلك عند التدخل أو القرار بعدم التدخل يعتبر عملاً غير قانوني وغير أخلاقي وذلك لأن الشرعية الدولية والفلسفة الأخلاقية لا تقبل القسمة على إثنين وتفرض على منظمة الأمم المتحدة وخصوصاً جهازها السياسي (مجلس الأمن) تدخّلا في الحالات التي يتم فيها انتهاكات حقوق الإنسان مثلما يحدث الان بقطاع غزة المحاصر، على اعتبار أن الإنسان هو إنسان بغض النظر عن اللون أو الدين أو الطائفة. ولا يمكن أن تعد الازدواجية والانتقائية عيوباً ملازمة لمبادئ القانون الدولي الإنساني وحقوق الإنسان، وإنما تلك ما هي إلا مثالب ناشئة عن اختلالات القوى السياسية بالعالم، وأخطاء عمدية في تطبيق قواعد القانون الدولي، ينبغي معرفتها وكشفها وتحجيم أثارها الضارة.

ان استعمال الكيان الصهيوني القوة المفرطة ضد قطاع غزة بشكل دموي عنيف لم يسبق له مثيل، وهو يتعارض مع مبدأي التمييز والتناسب، بمعنى التمييز وفق القانون الدولي الانساني بين العسكريين والمدنيين دون المساس بأماكن التي يمنع المساس بها كالمستشفيات ودور العبادة.

واخيرا.. السؤال الذي يطرح نفسه أين ما يسمى بالعالم المتحضر الذي يكذب علينا باسم الانسانية، والقيم السامية امام ما يرتكبه اليوم الكيان الصهيوني بقطاع غزة من مجازر لم تشهدها الانسانية، وبدعم مُعلن وفاضح من حليفتها أمريكا؟ فما حدث في جنين، ونابلس، ورام الله، وطول كرم وآخرها غزة الان من مجازر أمر لا يمكن السكوت عنه، الذي يتنافى مع أبسط القيم الإنسانية التي تتشدق بها تلك الدول من حين الى اخر! إنها سياسة الكيل بمكيالين. وبالتالي ترسل لكم امريكا راعية الارهاب العابر للحدود، رسائل تقول فيها سأستمر في الدعم اللامحدود لحليفتي اسرائيل.. وما انتم فاعلون يا عرب؟ وهذا ما اكدته تصريحات الرئيس الامريكي جو بايدن عندما قال" لن نعود الى ما قبل السادس من اكتوبر 2023"، وكذلك ما صرح به وزير خارجيته انتوني بلينكن عندما قال "يجب على النظم الديمقراطية ان تتخذ كل الاحتياطات اللازمة لتجنب التسبب في سقوط ضحايا من المدنيين". من المدنيين اليهود أم سكان

غزة ؟.. وهو يستشهد بالمحرقة النازية (الهولوكست) ضد افراد من عائلته اليهودية، وهو يفتخر لكونه يهودي!!.

والمستغرب ما ذكره ممثل الكيان الصهيوني بالأمم المتحدة حول ما صرح به الامين العام للأمم المتحدة انطونيو غوتيريش عندما برر ما قامت به المقاومة الفلسطينية يوم 7 اكتوبر 2023، عندما قال: "ان الشعب الفلسطيني يخضع لاحتلال خانق على مدى 56 عاماً وان هجوم حماس لم يأتِ من فراغ". وكان رد ممثل الكيان الصهيوني بالأمم المتحدة "ان منظمة الامم المتحدة اصبحت وصمة عار على جبين الانسانية".

(التوصيات)

1. ضرورة السعي إلى وقف اطلاق النار والشروع في المفاوضات من اجل ايجاد حلول جذرية وسريعة لإنهاء الحرب على غزة.
2. العمل على احلال السلام الدائم وتجنب الانزلاق من جديد الى دوامة العنف والحرب.

3. على الدول العربية والاسلامية استخدام كافة وسائل الضغط والجهود لإنهاء معانة الشعب الفلسطيني.
4. العمل على التخفيف من معاناة اهلنا في غزة وفك الحصار الخانق عليهم.
5. احياء جهود السلام السابقة، وحث جميع الاطراف الراعية له من احترام تعهداتها والتزاماتها والاضطلاع بدورها في تعزيز السلم والامن العالمي.

نحيي تونس قيادة وشعباً.. والجزائر قيادة وشعباً.. وأبطال اليمن السعيد.. وأبطال المقاومة العراقية الباسلة.

نصر الله فلسطين ... نصر الله ابطال غزة.